

مِسْكُ الْخِتَامِ نَفَحَاتُ مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

ونختُم هذه الأطروحة الشريفة، بدرةً لطيفة، وهي نفثات قلب، وخَلَجَاتُ صَبٍّ، يتغنى بحُبِّ البلد الحرام، ويناجي بيته المعظم، ويتنسم نفحاتِ كعبته المشرفة، لنجعلها ختامَ مِسْكٍ، وفي حُبها وخدمتها والشوق إليها، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (1).

وقد نُسَجَ مطلعُ هذه القصيدة بلسان حال الكعبة المشرفة حين انتهى إليها الزوار من جميع الأقطار، وقد رَفَعَتِ الأستار عن جمالها، وبدا نورها وسناها:

إِلَيَّ إِلَيَّ يَا عُشَّاقُ حُسْنِي فهذا الوقتُ وَقْتُ لَا يُضَاهَاها
وقالت دونكم قُرْبِي تَمَلَّوْا تروا بجناينا عزًّا وجاها

فأين يُصاب مثل عروس حُسْنِي وما في الكون معشوق سواها
فقد سعدت عيونٌ قد رَأَتْها وقد شَقِيتُ عيونٌ لَا تَرَاهَا

فَوَلَّيْ وَجْهَكَ الْحَسَنَ الْمَفْدَى (2) إِلَيْهَا حَيْثَمَا كُنْتَ تَجَاهَا
فإنَّ أباك إبراهيمَ قَدَمًا لأجل رضاكَ حَقًّا قَدْ بَنَاهَا

وإسماعيل طاف بها وَلِيَّ وطَهَّرَها لِمَشْتَاكِ أَتَاهَا
هو الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَأَنْتَ حِلٌّ فَطَأْهَا يَا أَمِينُ فَأَنْتَ طَه

وَوَجَّهَ حَيْثُ كُنْتَ اذْنُ إِلَيْهَا وَلَا تَعْدِلْ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهَا
فَوَجَّهْ اللَّهَ قَبْلَةَ كُلِّ حَيٍّ لِمَنْ شَهِدَ الْحَقِيقَةَ وَاجْتَلَاهَا

وهذا الْبَيْتُ بَيْتُ اللَّهِ فِيهِ تُسَرُّ النَّفْسُ إِذْ بَلَغَتْ مَنَاهَا
وهذا الْحِجْرُ وَالْحِجْرُ الْمَفْدَى وَزَمَزَمَ وَالْحَطِيمَ وَمَا زَهَاها

(1) سورة المطففين، من الآية: 26.

(2) المقصود بهذا البيت هو حضرة الرسول الأعظم ﷺ فهو صاحب الحُسْنِ المطلق من المخلوقين، ويدل على ذلك الأبيات التي تليه كما هو واضح.

وَزَمَزِمَ عِنْدَ زَمَزِمِهِ شَفَاهَا	فَهَلَّلَ عِنْدَ مَشْهَدِهِ كَفَاحًا
بَكَعْبَتِهِ وَلَبَّوْا فِي ذُرَاهَا	فِيَا حَجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ طُوفُوا
لِنَفْسٍ فِي مَنَى بَلَغَتْ مَنَاهَا	فَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى
لَكُمْ ثَجُّ وَعَجُّ فِي رُبَاهَا	فَقُلْ لِلنَّاسِكِينَ بِكُلِّ فَجٍّ
وَنَيْتُهُ الَّتِي فِيهَا نَوَاهَا	فَلَا يُجْدِي سِوَى الْإِخْلَاصِ حَقًّا
وَتَجْرِيدَ لِنَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا	وَإِقْلَاعَ عَنِ الْعَصِيَانِ جَهْرَ
لِذِي الْحَاجَاتِ مِمَّا قَدْ عَرَاهَا	وَإِرْفَاقَ وَإِنْفَاقَ وَبَذْلَ
لِنَفْسٍ بِالتَّقَى عَرَفَتْ هِدَاهَا	وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلَ كُلِّ زَادٍ
إِذَا شَاهَدْتَ بِالْمَعْنَى سَنَاهَا	فَقُلْ بِلِسَانِ عَزَمِكَ فِي رُبَاهَا
وَجِئْتَ وَمَهْجَتِي تَشْكُو جَوَاهَا	إِلَيْكَ شَدَدْتُ يَا مُوَلَايَ رَحْلِي
وَبِالْأَسْتَارِ مُمْتَسِكٌ عَرَاهَا	وَهَا أَنَا جَارُ بَيْتِكَ يَا رَجَائِي
عَلَى الْجَارِ الْكَرِيمِ إِذَا دَعَاهَا	وَلِلْجِيرَانِ وَالضُّيُفَانِ حَقُّ
وَمَنْ قَدْ حَلَّ جَهْرًا فِي حَمَاهَا	إِلَيْكَ شَفِيعُنَا الْهَادِي الْمَفْدَى
رَسُولُ اللَّهِ أَقْوَى النَّاسِ جَاهَا	شَفِيعُ الْخَلْقِ يَوْمَ الْحِشْرِ حَقًّا
صَلَاةٌ غَيْرُ مَنْحَصِرٍ مَدَاهَا ⁽¹⁾	عَلَيْهِ مِنَ الْمَهِيْمِنِ كُلِّ وَقْتٍ

(1) الحريفيش، شعيب بن سعيد بن عبد الكافي المصري المكي (ت: 810هـ)، الروض الفائق في المواعظ والرفائق، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ-2005م: ص 80-81.